الفصل الثاني

تاريخ اللغة العبرية ، وأسباب نشأة النحو العبري ، وتطوره

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: تاريخ اللغة العبرية وتطورها.

المبحث الثاني: نشأة النحو العبري: أسبابه، وتطوره.

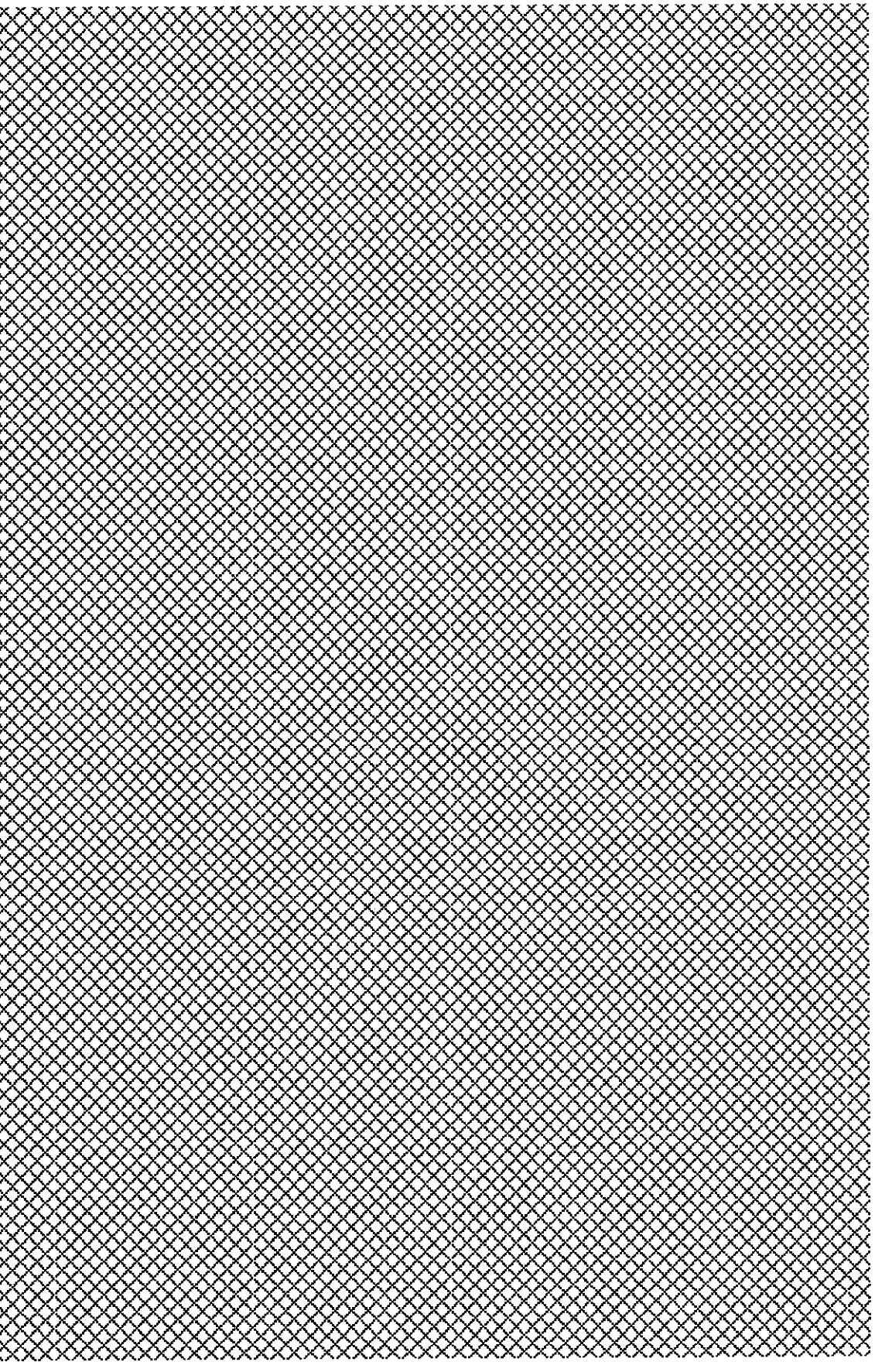

المبحث الأول

تاريخ اللغة العبرية وتطورها

لقد أجمع العلماء على أن الأقدميين، والعموريين، والكنعانيين، والفينيقيين، والقرطاجيين، والآراجيين، والآشورين، والشوايين، والأدوميين، والنبطيين، والعرب والصائبة، والأحباش، يعدون من الأقوام العربية التي تشترك في أسرة اللهجات العربية[1].

والمسلَّم به بإجماع الباحثين أن القبائل العربية التي نزحت من الجزيرة العربية كانت كلها تتكلم لغة واحدة هي اللغة العربية الأصلية، قبل أن تتفرق «وكانت الأرض كلها لسانًا واحدًا ولغة واحدة، ثم تفرع من هذه اللغة عدة فروع انطبع كل منها بطابع المكان والبيئة الجديدة، على مقتضى نظرية الارتقاء. وهكذا تطورت اللغة الأصلية تطور لهجات الأقوام الناطقة بها في مستوطناتها الجديدة، حتى أُضمَّت هذه اللهجات مغايرة لأصلها، ولكنها مهما تباعدت بألفاظها وتشعبت تراكيبها فإنها بقيت محتفظة بالخصائص الأصلية التي تتميز بها؛ لأنها ترجع إلى أصل واحد مشترك، وقد سمى العلماء هذه اللهجات بـ «اللهجات أو اللغات السامية» نسبة إلى سام بن نوح تمييزًا لها عن اللغات، الآرية والطورانية[2].

ومن الجدير بالذكر أنَّ اللهجات السامية (العربية) الأصلية كان تحتوي فروقًا جوهرية واختلافات أساسية، ولكنها في بادئ الأمر لم تكن ظاهرة للعيان، ثم برزت بروزًا واضحًا بعد انفصال بعض اللهجات عن بعضها بعضا، فاللغة الواحدة في المنطقة الواحدة كثيرًا ما تظهر بمظاهر مختلفة، يتميز كل منها بصيغة خاصة، ووجوه الاختلاف تكون في بادئ أمرها يسيرة وقليلة، ثم

---

(١) انظر: أحمد سوسة، العرب واليهود في التاريخ، العربي للطباعة والنشر، الطبعة السابعة، ١٩٩٠، ص٢٧٠.

(٢) انظر: أحمد سوسة، العرب واليهود في التاريخ، المصدر السابق، ص٣٢٤.

تغدو مع مرور الزمن شديدة معقدة، ثم تتسع الشقة بينها وتنحو نحو منحنىً خاص حتى تصبح ذات كيان خاصٍ ولون خاص[1].

ومن هذه اللغات اللغة العبرية التي ليست لغة العبريين جميعًا، بل هي لغة فرع واحد من فروعهم وهو فرع (بني إسرائيل)، ذلك أن تسمية بني إسرائيل جاءت في القرآن إما مباشرة أو غير مباشرة في معظم سوره، ثم إنَّ بيان أصل تسمية هذه اللغة بالعبرية له قصة، ذلك أنه لم يرد مسمى العبرية في العهد القديم تسمية لهذه اللغة، وإنما بدأ استخدام هذا الاسم في نهاية عصر الهيكل الثاني فقط، بواسطة الكُتَّاب؛ اعني كُتاب اليونانية والرومية، وأطلق عليها في أيام الهيكل الأول في مملكة يهوذا اسم اليهودية[2].

هذا ولم يظهر مصطلح לשון עברית - أي اللسان العبري - إلا مع المشنا، إضافة إلى أن بدايتها يلفها الغموض فهي مجرد لهجة من لغة أكبر وهي اللغة الكنعانية[3].

وإن كانت العبرية تعد من أهم اللهجات الكنعانية؛ وذلك لأنها أوسع انتشارًا وأكثر إنتاجًا من سائر هذه اللهجات الكنعانية، بل إنها لتعد من أغنى لغات العالم آنذاك وبخاصة في المعتقدات، والآداب، والفلسفة والتاريخ، والعلوم لما لهذه اللغة من أهمية دينية ما عدا أجزاء قليلة كما في سفري دانيال وعزرا، ذلك لأن جميع أسفار العهد القديم قد دونت بها[4].

وللعلماء أربعة آراء في تسمية هذه اللغة (اللهجة) باسم (العبرية):

فالرأي الأول: أنَّهم سموا بذلك؛ نسبة إلى عابر جد إبراهيم الأكبر وإنما نسبوا إليه دون غيره من أجداده؛ لأن عابر كانت له شهرة عظيمة في التاريخ.

---

(١) انظر: ربحي كمال، اللغة العبرية وآدابها، دمشق، ١٩٥٨، ص١٨.

(٢) انظر: ابراهام بار يوسف، ترجمة عمرو زكريا، من موقع فؤاد عبد الواحد، كتاب اللغات السامية، ص٦.

(٣) انظر: عبد الوهاب المسيري، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، الطبعة الأولى، المجلد (٢)، دار الشرق، القاهرة، ١٩٩٩، ص ٣٢٠.

(٤) انظر: شعبان محمد سلام، الآداب السامية، جامعة الأزهر، ١٩٧٩، ص٣٤.

والرأي الثاني: أنَّهم نسبوا إلى عبور النهر، أي عبوره إلى الجهة الأخرى منه والمراد بالنهر هنا، إما نهر الفرات الذي عبره إبراهيم ومن معه بعد أن هاجروا من مدينة أور، وإما أن يكون نهر الأردن الذي عبره هؤلاء فيما كانوا قادمين من كنعان.

والرأي الثالث: وهو كلمة عبرانيون جمع عبراني والعبراني هاهنا، هو إبراهيم وإنما أطلق عليه لفظ عبراني لأنه كان كثير التجوال في البلاد الشرقية.

والرأي الرابع: أنَّ كلمة عبري لا تساوي عربي وكل منهما يفيد المنتقل المتجول في الصحراء. فإن كلا من العرب والعبرانيين كانوا قبل أن يُنشئوا الدول ويستقروا في المدن يتجولون في صحراء بلاد العرب[1].

نزح بنو إسرائيل من شبه جزيرة سيناء، وأغاروا على أرض كنعان ففتحوا قسمًا كبيرًا منها، وبدأوا الاستقرار في فلسطين حوالي القرن الثالث عشر ق.م، وإلى هذا الرأي جنح معظم المستشرقين القائلين بأن المهد الأصلي للقبائل العبرية إنما كانت في شبه جزيرة طور سيناء، ويستدلون على رأيهم بأن مميزات الحياة الصحراوية بارزة جدًّا في اللغة العبرية، وأن الإسرائيليين توارثوا هذه المميزات حتى استوطنوا فلسطين، وأن الأدب العبري القديم يتسم بطابع الصحراء[2].

وأقدم آثار اللغة الكنعانية إلى العبرية إحدى لهجاتها ألفاظٌ واصطلاحاتٌ، وردتْ في رسائل مسمارية موجهة من بعض الأمراء الكنعانيين في نواحي فلسطين إلى الملك أمون حوطف المصري في القرن الرابع عشر ق.م، وهذه الرسائل مكتوبة باللغة البابلية، ومشوبة ببعض الكلمات الكنعانية، ويُستدل من هذه الألفاظ الكنعانية على أنها تشبه مادة اللغة العبرية شبهًا كبيرًا.

---

(١) انظر: حامد عبد القادر، الأمم السامية: مصادر تاريخها وحضارتها، مراجعة وتعليق: عوني عبد الرؤوف، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، ب ن، ص ١١٠.

(٢) انظر: ريحي كمال، ص٣٤-٣٥.

إنَّ كُلَّ آثار اللغة الكنعانية سواء ما وجد منها في وطنهم، أو ما وُجِدَ في المناطق التي هاجرو إليها، تدلُّ على عظم قربها ومتشابهتها للغة العربية حتى أنَّها كأنهما قُدَّا من أديم واحد، والذي لا شك فيه أن هناك فروقًا بين اللغتين من جهة نطق كلمات كثيرة[1].

ولولا اهتمام بني إسرائيل بالتدوين عن الكنعانيين لأصبحوا اليوم في مجاهل التاريخ[2].

ولم تُظهر النقوش السامية القديمة إلا الهيكل العظمي للغة العبرية، وتُنسَب بعض القطع من العهد القديم إلى القرون الأخيرة من الألف الثاني قبل الميلاد، ويبَّينُ أن تاريخ الأدب العبري كان معروفًا، يتخذ مكانة في النشأة الزمنية بين آداب العالم قبل التكلم عن ملوك إسرائيل، ويرجع جزء كبير من العهد القديم إلى تاريخ الملوك الإسرائيليين الأخيرين، ففي عهدهم ظهر جزء عظيم من أدب اللغة العبرية بالصورة التي نراها الآن، وإلى هذا العهد ينسب عدد كبير من الأختام والطوابع والأحجار الكريمة التي تحمل أسماء بني إسرائيل[3].

اجتازت اللغة العبرية مراحل عديدة منذ بدء نشأتها حتى اليوم، امتازت كل مرحلة بنوع من المؤشرات طبعت اللغة بطابع خاص وأثرت فيه بناحية معينة وقد قسَّم علماء اللغات تطور اللغة العبرية إلى عصرين رئيسين وينقسم كل عصر إلى عدة مراحل.

فالعصر الأول: ويمتد من نشأة هذه اللغة إلى أواخر القرن الرابع قبل الميلاد على وجه التقريب وكانت العبرية في هذه الفترة لغة حية، يتكلم بها بنو

---

(١) انظر: إسرائيل ولفنسون، تاريخ اللغات السامية، الطبعة الأولى، مطبعة الاعتماد، ١٩٢٩، ص٦٠-٦١.

(٢) انظر: جودة محمد الطحلاوي، تاريخ اللغات السامية، مطبعة الطلبة بمصر، ١٩٣٢، ص٥٨.

(٣) انظر: محمد عطية الإبراشي، الآداب السامية، مع بحث مستفيض في اللغة العربية وخصائصها وثروتها وأسرار جمالها، دار إحياء الكتب العربية، ١٩٤٦، ص٢١-٢٢.

إسرائيل وقد عرفت اللغة في هذا العصر «بالعبرية القديمة»؛ لأن أهم ما وصل إلينا في آثارها في هذا العصر هي أسفار العهد القديم[1].

ويميز في هذه الحقبة التاريخية بين مرحلتين هما:

المرحلة الأولى: تنتهي هذه المرحلة بنفي بابل الذي جرى سنة ٥٨٧ ق.م وتسمى هذه المرحلة بالمرحلة الذهبية للغة العبرية ذلك أن هذه المرحلة بلغت عنفوان مجدها.

المرحلة الثانية: تبدأ بنفي بابل وتنتهي بانقراض اللغة العبرية من التخاطب في أواخر القرن الرابع قبل الميلاد وحلول اللغة الآرامية محلها وتسمى هذه المرحلة بالمرحلة الفضية للغة[2].

العصر الثاني: يبدأ من العصر الذي انقرضت فيه العبرية في التخاطب، واقتصر استخدامها على الكتابة وتلاوة بعض الأوراد والفقرات من أواخر القرن الرابع ق.م إلى العصر الحاضر، وتسمى العبرية في هذه المرحلة بالعبرية اللاحقة للعهد القديم، وينقسم هذا العصر إلى مرحلتين تمتاز كل منهما بميزات لغوية خاصة[3].

فالمرحلة الأولى: تنتهي بفاتحة العصور الوسطى وتسمى العبرية الربانية أو التلمودية؛ لأن أهم ما وصل إلينا هو بحوث الربانيين، وهي عبارة عن دراسات في شؤون الدين والقانون والتاريخ المقدس، وعدتها ثلاثة وستون كتابًا كتبت باللغة الآرامية، وأطلق عليها اسم: «المشنا»، ثم شُرحت المشنا بعد ذلك بالآرامية أيضًا، وأُطلق على هذا الشرح اسم «الجمارا»، وكون ما يعرف باسم التلمود. بعد انتشار اليهود في العالم القديم استخدم يهود أوروبا

---

(١) انظر: ربحي كمال، ص١٨.

(٢) انظر: محمد التونجي، اللغة العبرية وآدابها، الطبعة الأولى، منشورات جامعة بنغازي، ليبيا، ١٩٧٤، ص٣٨.

(٣) انظر: محمد التونجي، المصدر السابق، ص٣٨.

العبرية التلمودية في كتاباتهم الدينية أساسًا واستخدموا لغات البلاد التي يعيشون فيها للمؤلفات الدنيوية.

والمرحلة الثانية: وتبدأ من فاتحة العصور الوسطى، وتمتد حتى العصر الحاضر، وتسمى لغة هذه المرحلة بالعبرية الحديثة، وقد كتب في هذه المرحلة عدد كبير من علماء اليهود المنتمين إلى مختلف الشعوب والناطقين بشتى اللغات، فمنهم الألمان والإنكليز والفرنسيون، والعرب، وتمتاز العبرية في هذه المرحلة بشدة تأثرها باللغة العربية وشيء من اللغات الأوروبية الحديثة وإن لم يظهر هذا التأثير باللغات الأوربية إلا في القرن العشرين، وكانت اللغة العبرية في ذلك الحين خالصة تقريبًا من شوائب الآرامية، كما يدل على ذلك ما وصل إلينا من مصنفات ذلك العصر[1].

فقد كان للغة العربية الفضل الكبير في مساعدة اليهود على دراسة التوراة، فقد أخذ اليهود يقلِّدون العرب ويُخضعون لغتَهم لقواعد النحو العربي وقد تم وضعُ نظِام الحركاتِ في القرن السابع الميلادي، إذ بدأ تأثير اللغةِ العربية بمحاولات بعض العلماء في محيط اللغة، مثل: «هارون بن اشر» الذي كان متأثرًا بالنحاة العرب.

ونجم عن هذا الوضع ظهور مستويات مختلفة للغة العبرية؛ إذ توجد عبرية أدبية متعددة الانتماءات، فهناك عبرية توراتية وأخرى تلمودية متأثرة بالآرامية، وثالثة يديشية - أي متأثرة لغويًّا بالتراث اليديشي-، وهناك عبرية نمطية يتعلمها الطلاب في المدارس، وهي مبنية على نمط النحو العربي الذي قاس اللغويون اليهود عليه نحوهم منذ العصر الأندلسي، ثم هناك العبرية التي يستخدمها العامة[2].

---

(١) انظر: ولفنسون، ص٨٩.

(٢) انظر: يوسف متي، محمد كامل روكان، آرامية العهد القديم قواعد ونصوص، منشورات المجمع العلمي، بغداد، ٢٠٠٦، ص ٥٢.

هذا وتستخدم اليوم في كتابة الحروف الأبجدية العبرية طريقتان: الأولى؛ ويطلق عليها الحرف المربع، وهي المستخدمة في المطبوعات. والثانية؛ الخط اليدوي، بالضبط كما هو الحال في اللغة العربية.

والأبجدية العبرية تحتوي على اثنين وعشرين شكلاً، ولكنها تحتوي من الناحية الفعلية على ثمانية وعشرين منطوقًا صوتيًّا، إذ إنَّ هناك ستة أحرف تتغير طريقة نطقها حسب وضعها داخل الكلمة، وهذه الأحرف «ب، ج، د، ك، ف، ت» فإذا جاء أي من هذه الأحرف في أول الكلمة أو بعد سكون تام، وضع في داخله نقطة كما هو، فيما عدا حرف الغين، فإنه ينطق بنطق الهمزة «أ».

أما إذا جاءت في غير الحالتين السابقتين فإنها تأتي خالية من النقطة وتنطق هكذا:

בּ = ب	ב = v
גּ = ج	ג = غ
דּ = د	ד = ذ
כּ = ك	כ = خ
פּ = ب	פ = ف
תּ = ت	ת = ث

وقد أهملت اللغة العبرية الحديثة تطبيق هذه القاعدة على حروف «ت، ج، د»، فأصبحت تنطق «ت، ج، د» سواء جاءت بداخلها نقطة أو كانت خالية منها[1].

وتقرأ العبرية وتكتب كالعربية، من اليمين إلى اليسار فضلاً أنها تكتب منفصلة بعضها عن بعض، ولكن بعض اليهود في إسرائيل، أصبحوا الآن يستخدمون الخط اليدوي بحروف متشابكة نتيجة السرعة في الكتابة، وربما تأثرًا باللغة العربية واللغات الأوربية التي تفضل كتابة المفردات متصلة.

---

(١) انظر: عبد الوهاب المسيري، المصدر السابق، ج٣، ص٣٣٣، ٣٣٤.

كما توجد في الأبجدية العبرية خمسة أحرف تتغير طريقة كتابتها إذا جاءت في آخر الكلمة، وهذه الأحرف هي: «ك، م، ص، ن، ف» وتجمعها عبارة (كم صنف)، وتقسم حروف الهجاء العبري تقسيمًا يلائم طبيعة النطق بها، على وفق اصطدامها بأجزاء الفم المختلفة وهي كما يأتي:

حلقية «أ، هـ، ح، ع» (الراء معاملة الحلقية في بعض القواعد).

شفوية «ب، و، م، ف».

حنكية «ج، ي، ك، ق».

لسانية «د، ط، ل، ن، ت».

صفيرية «ز، س، ش، ص، ر»[1].

واستخدم يهود البلاد العربية العبرية المستعربة وهي عبرية في معظم المفردات الأساسية لكنها عربية النمو والدلالة والمفاهيم، فضلاً عن أنهم استخدموا العربية في كتاباتهم الأخرى، وفي بعض الكتابات الدينية أيضًا مثل كتابات موسى بن ميمون الذي وضعها أصلاً بالعربية ولكن بحروف عبرية، وآخرين غيره[2].

(١) انظر: كارل بروكلمان، فقه اللغات السامية، ترجمه عن الألمانية: رمضان عبد التواب، ١٩٧٧، ص ٤٩ - ٥٣.

(٢) انظر: محمد التونجي، ص ٤٨.

المبحث الثاني

نشأة النحو العبري: أسبابه وتطوره

يعد العصر الوسيط عند اليهود عصر الازدهار في الأدب والفكر واللغة؛ لهذا أسموه باسم (דור הזהב العصر الذهبي) لتأثرهم -كما أسلفنا - بالفكر والأدب والحضارة العربية الإسلامية، إذ عملوا على إحياء لغتهم من جديد فواجهتهم مشكلة المفردات والتعبيرات التي ظهرت بحكم الزمن والتطور، وليس لها ما يقابلها من ألفاظ لغتهم، فعملوا على اشتقاق وعبرنة ما يمكنهم من المصطلحات المعبرة عن المفاهيم والعلوم والمسميات الجديدة، فاتسعت العبرية شيئًا فشيئًا إلى أن أصبحت قادرة على النهوض، بكونها لغة حديث بين اليهود في ذلك العصر، ومع تدوين مؤلفاتهم في اللغة أخذوا ما خلفته لهم من مفردات اللغة من عصورها القديمة وأضافوا عليها مفردات رُقْعَتِها، وتخطت جمالها الديني، وشملت الأدب والفكر وطبقوها على ما كتبوه[1].

ويضاف إلى ذلك أنهم قلدوا العرب بتأثرهم بالقرآن الكريم فصرفوا عنايتهم للكتاب المقدس، أو ما يسمى بالعهد القديم، ولا ترجع أهمية العهد القديم إلى قيمته الدينية فحسب، بل أيضًا إلى قيمته التاريخية والأدبية واللغوية، فيشمل إلى جانب الأحكام والقوانين الدينية، تاريخ بني إسرائيل حتى العودة من السبي البابلي على يد قورش الفارسي (٥٣٩ق.م)، وترد أخبار عن وضع اليهود في العصر الفارسي (سفرا عزرا ونحميا، وكذلك مجلة استير) وعلاوة على ذلك فإنه يشمل أجناسًا أدبية عديدة شعرية أو نثرية، فيضم أشعار المديح والرثاء والانتصار والهزيمة، وأشعار الغزل والحب، والترانيم

(١) انظر: شعبان محمد سلام، قاموس المختصرات العبرية، مركز الدراسات الشرقية، ١٩٩٩، ص ٨.

الدينية، كما يشمل الرواية والقصة والخرافة والحكاية والأسطورة. أما أهمية العهد القديم اللغوية فتعود إلى أنه المصدر الأساسي لدراسة اللغة العبرية؛ لما يحويه من ألفاظ ومصطلحات وتراكيب لغوية متنوعة، بالإضافة إلى وجود بعض الألفاظ والمصطلحات غير العبرية في نصوص العهد القديم، على سبيل المثال: آرامية سفر دانيال، وكذلك آرامية سفري عزرا ونحميا[1].

وقد أدت أهمية العهد القديم الدينية والتاريخية والأدبية واللغوية، إلى اهتمام يهود بابل بتدوين هذا التراث حتى وصل إلينا في صورته الحالية. وقد استمرت عملية تدوين النصوص عدة أجيال منذ ذلك التاريخ، وحتى القرن الثاني ق.م، وقد تطور نص الماسورا عبر الأجيال، فبدأ أصحاب الماسورا الاهتمام بالمحافظة على كتابهم المقدس؛ فوجهوا جل عنايتهم بتشكيل النص وضبطه وتوضيح علامات النبر وأماكنها، وتقسيم الأسفار والإصحاحات، وكان هذا الاهتمام خلال عصر التنائيم وما قبلهم[2].

ويؤكد الباحثون أيضًا أن بداية النحو العبري بالمعنى العلمي لهذا المصطلح، فلم يظهر عند اليهود إلا بعد ظهور الإسلام واحتكاك اليهود بالمسلمين وتأثرهم بالعلوم الإسلامية المختلفة، والتي ازدهرت مع ازدهار الإسلام وانتشاره في أقطار عديدة[3].

وهناك إجماع بين المؤرخين للنحو العبري من اليهود على أن النحو العربي كان هو الحافز لنحاة العبرانية على تأليف كتبهم، فاحتذوه في كل دقائقه وتفصيلاته[4].

---

(١) انظر: بن بارون، ص ٢٧.

(٢) المرجع السابق: ص ٢٨.

(٣) المرجع نفسه: ص ٢٧ – ٢٨.

(٤) انظر: محمد حسن إبراهيم، النحو العربي وأثره في نشوء النحو العبري وتطوره، المجلد (١٤)، من مجلة المورد، العدد (١)، ربيع ١٩٨٥، ص ٦٠.

يعد سعديا جاؤون (ت٣٣١هـ/ ٩٤٢م) وهو سعيد بن يوسف الفيومي، فيلسوف اليهود، وكان أول النحاة العبريين الذين وضعوا قواعد النحو العبري على غرار قواعد اللغة العربية في كتابه المجموعة (أجارون)، ثم وضع كتابي اللغة العبرية والفصاحة[1]، وعلى الرغم من أنه لم يصل إلينا، فقد ورد في الأخبار أنه كان يتناول فيه اللغة العبرية وقواعدها مقتفيًا أثر اللغويين العرب في تأليفهم في النحو العربي لدرجة أنه هو ومعظم من جاءوا بعده ألفوا كتبهم هذه باللغة العربية.

ولم يتأثر سعديا بالعلوم اللغوية العربية فحسب، بل أخذ الكثير من العلوم الدينية وتشربت روحه بمذهب المعتزلة، ويظهر هذا التأثير جليًا في معالجته الديانة اليهودية، ويعتبره النحاة اليهود أبا النحو العبري.

وإذا كانت البدايات الأولى لنشأة النحو العبري في بلاد المشرق الإسلامي، فإن الباحثين يؤكدون أن عصر النحو العبري الحق لم يبدأ إلا في أوائل القرن الحادي عشر الميلادي في الأندلس، التي يعود إليها غالب المؤلفات النحوية العبرية لذلك العهد، حيث ظهر عدد من النحاة اليهود، منهم: مناحيم بن سروق الذي ألف مذكرة في قواعد العبرية، ودوناش بن لبراط، ويهودا بن داود حيوج المشهور عند العرب بأبي زكريا يحيى، ومروان بن جناح القرطبي وغيرهم[2].

ويعتبر يهودا بن داود حيوج من أعلام النحاة اليهود في القرن الرابع الهجري/ الحادي عشر ميلادي، الذين كان لهم تأثير واضح في تاريخ النحو العبري، ذلك أن الإغراق في التكهن والإقلال من النظر في اللغة لاستنباط قوانينها وقواعدها كان سمة غالبة على النحاة اليهود قبل ابن حيوج، فشكل

(١) انظر: محمود فهمي حجازي، المدخل إلى علم اللغة، دار الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة ١٩٧٦، ص ١٧٠.
(٢) انظر: محمود فهمي حجازي، ص ١٧٠.

هذا الأخير طفرة نوعية إذ أقام الدراسة النحوية العبرية على أسس علمية، وتجاوز هذا القصور العارض، وإن كانت مؤلفاته أثارت حفيظة عدد من العلماء اليهود لاسيما في نظريته التي تهم الأصل الثلاثي للألفاظ العبرية، والتي اعتنت ببيان الجذور المعتلة، والجذور المضعفة، وناقش فيهما قضايا الثنائية والثلاثية في أصول الكلمات العبرية، وتناول القواعد الصوتية والصرفية التي تحكم كلمات الأفعال وتصريفاتها، وبخاصة ظاهرتي الإعلال والإبدال[1].

وظهرت مساجلات ومعارك نحوية، أثمرت أول كتاب نحوي شامل على يد النحوي اليهودي أبي الوليد مروان بن جناح القرطبي، وهو كتاب «المستلحق»، فألفه ليستدرك على ابن حيوج ما فاته في كتبه، وهذا الكتاب بدوره أسال مدادًا كثيرًا، بين مؤيد ومعارض.

ونجد أن أعظم مؤلفات ابن جناح هو: كتاب «التنقيح»، الذي يتألف من قسمين: كتاب «اللمع»، وكتاب «الأصول»؛ فبحث في الأول نحو اللغة العبرية القديمة، وجعل الثاني معجمًا للغة التوراة قدم فيه عونًا كبيرًا في فهم معاني الكلمات العبرية وظلالها، وقد رتب الجذور ترتيبًا أبجديًّا، ومشروحة من خلال عبرية العهد القديم، وعبرية التلمود ومقارنتها بالساميات الأخرى[2]. ويشكل الكتابان معا أول دراسة شاملة ومتكاملة لعبرية التوراة.

هذا ويعد كتاب «اللمع» لابن جناح من أهم كتب النحو العبري، حيث بدأه بوصف لأعضاء النطق مع مخارج الحروف، تلاه بالتمييز بين أنواع الجذور، وأحرف الزيادة والإلحاق والإبدال، ثم أعقبه بتصريف الأسماء والأفعال، وختم بالتراكيب النحوية.

---

(١) انظر: محمد صالح الضالع، دراسات في الترجمة واللسانيات العبرية، مركز الدراسات الشرقية، ٢٠٠٨، ص٩١.

(٢) انظر: محمد عبد الصمد زعيمه، دراسات في علم اللغة المقارن، دار الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٨١، ص٥١.

وشأنه في ذلك شأن جل النحاة اليهود الذين سلكوا في تأليف كتبهم النحوية مسلك النحاة العرب وخاصة سيبويه[1].

وعليه فقد كان للغويين اليهود في الأندلس دورٌ كبير في تطوير النحو العبري وكتابة قواعده النحوية والصرفية على طريقة النحو العربي، فكان هذا النحو صورة طبق الأصل عنه، ومن ثم تُرجم النحو العربي إلى اللغة العبرية ثم إلى اللغات الأوربية على أيدي علماء اللغة اليهود في الأندلس، فتجد في النحو العبري ظاهرة التقديم، والتأخير، والتأويل، والحذف، والزيادة، وغير ذلك من الظواهر النحوية العربية.

وألف إسحق بن يشوش الطليطلي كتاب «التصريف»، ووضع موسى بن شوئيل القرطبي كتاب «التذكير والتأنيث»، ويهودا بن بلعم كتاب «حروف المعاني»، ونظم سليمان بن جبيرول «منظومة في النحو».

كان النحو العربي قد ازدهر في العراق، إذ نشأت فيها مدرستان، هما مدرسة الكوفة ومدرسة البصرة، واستخدمت كل مدرسة منها مصطلحات خاصة بها، ثم ظهرت بعد ذلك مدرستا الأندلس ومصر المتأثرتان بمدرستي البصرة والكوفة.

إنَّ النحو العبري منذ نشأته في القرن العاشر الميلادي قد تأثر بهذه المدارس المختلفة، وازدهر في ثلاثة أماكن، **الأولى** في طبرية بفلسطين على يد هارون بن أشير في (النصف الأول من القرن العاشر) صاحب كتاب «יצירה- التشكيل» وتأثر في كتابه بالنحو العربي.

والثانية في العراق على يد سعديا جاؤون ومعاصره القرائي أبي يوسف يعقوب القرقصاني (الذي كان في أوائل القرن العاشر).

---

(١) انظر: محمود فهمي حجازي، ص ١٧٠.

أما المدرسة الثالثة فكانت في شمال إفريقيا والأندلس على يد يهودا بن قريش، ودوناش بن تميم، ودوناش بن لبراط، ومناحم بن سروق، وحيوج[1].

(١) انظر: بن بارون، ص٢٩.